أفعال المدح والذّمّ: نعم وبئس وما جرى مجراهما

أولًا: نِعْمَ وبِئْسَ بين الاسميّة والفعلية:

فِعلانِ غيرِ متصرفينِ نِعْمَ وبِئْسَ رافعانِ اسْمين.

بيّن ابنُ مالكٍ في هذا البيت أنّ "نعم وبئس" فعلانِ بدليلِ دخولِ تاءِ التّأنيثِ السّاكنةِ عليهما، نحوُ: "نِعْمَتِ المرأةُ هندٌ" و"بِئْستِ المرأةُ دعدٌ". وهذا مذهبُ أغلبِ النّحويينَ، وذهبَ جماعةٌ من الكوفيينَ، منهم الفرّاءُ إلى أنّهما اسمانِ، واستدلّوا بدخولِ حرفِ الجرّ عليهما في قول بعضِهم: "واللهِ ما هي بِنِعْمَ الولدِ، نصرُها بكاءٌ وبرُّها سرقةٌ" وخُرّجَ على جعل "نعم وبئس" مفعولينِ لقولٍ محذوفٍ واقعٍ صفةً لموصوفٍ محذوفٍ، وهو المجرورُ بالحرفِ، لا "نعم"، والتقديرُ: "ما هي بولدٍ مقولٍ فيهِ نِعْمَ الولدُ" فُحذِفَ الموصوفُ والصفةُ، وأقيمَ المعمولُ مقامَهما مع بقاءِ "نعمَ وبئسَ" على فعليتِهما، وهذانِ الفعلانِ لا يتصرفانِ، فلا يُستعملُ منهما غيرُ الماضي.

ثانيًا: أقسام فاعل نِعْمَ وبِئْسَ:

مُقارِنَي أل أو مُضافَينِ لِمَا قارَنَها كـ "نِعْمَ عُقبى الكُرَمَا"

ويرفعانِ مُضْمَرٍا يُفَسّرُهْ مُميِّزٌ كـ "نِعْمَ قومًا مَعْشَرُهْ

لا بدّ لهذينِ الفِعلينِ من مرفوعٍ، هو الفاعلُ، وهو على ثلاثةِ أقسام:

الأول: أن يكونَ محلًّى بالألفِ واللامِ نحوُ: "نِعْمَ الرّجلُ زيدٌ"، ومنه قولُه تعالى: ((نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)). واختُلفَ في "ال"هذه، فقال قسمٌ من النّحويّينَ هي للجنسِ حقيقةً، فمدحتَ الجنسَ كلَّه من أجلِ زيدٍ، ثمّ خصصتَ زيدًا بالذّكرِ، فتكونُ قد مدحتْه مرتينِ، وقيلَ هي للجنسِ مجازًا، وكأنّك قد جعلتَ زيدًا الجنسَ كلَّه مبالغةً، وقيلَ هي للعهد، إذ المقصودُ من "الرّجل" زيدٌ نفسُه.

الثّاني: أنْ يكونَ مضافًا إلى ما فيه "أل"، كقولِ ابنِ مالكٍ: "نِعمَ عُقبى الكُرَمَاء"، ومنْه قولُه تعالى: "((وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ))

الثّالث: أنْ يكونَ الفاعلُ مضمرًا مفسَّرًا بنكرةٍ بعدَه منصوبةٍ على التّمييزِ، نحوُ: "نِعْمَ قومًا مَعْشُرُه" ففي "نِعمَ" ضميرٌ مستترٌ يفسرُه "قوما"، ومثلُه قولُه تعالى: ((بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً))، وقولُ الشاعر: الشاهد:273

لَنِعْمَ مَوئِلًا المَولى إذا حُذِرْت بأساءُ ذي البَغْيِ واسْتِيلاءُ ذي الإِحَنِ

وقولُ الآخرِ: الشّاهد:274

تقولُ عِرْسِي وَهْيَ لِي في عَوْمَرَه بِئْسَ أمْرَأً وإِنّنَي بِئْسَ الْمَرَهْ

ثالثًا: الجمعُ بينَ الفَاعلِ ظاهرًا وتمييزِه:

وجَمْعُ تَمييزٍ وفَاعِلٍ ظهرْ فيهِ خِلافٌ عنْهُمُ قدِ اشْتُهِر

اختلفَ النّحويونَ في جوازِ الجمعِ بينَ التمييزِ والفاعلِ الظّاهرِ في "نِعمَ" وأخواتِها، فقالَ قومٌ لا يجوزُ ذلك، وهو المنقولُ عن سيبويهِ، فلا تقولُ: "نعمَ الرّجلُ رجلًا زيدٌ"، وذهبَ قومٌ إلى الجوازِ واستدلوا بقولِهِ: الشّاهد: 275

والتّغْلِبِيُّونَ بِئْسَ الْفَحْلُ فَحْلُهُمُ فَحْلًا وأمُّهُمُّ زَلّاءُ مَنْطِيْقُ

وقوله: الشّاهد:276

تَزَوَّدْ مِثَلَ زادِ أَبِيْكَ فِينا فَنِعْمَ الزّادُ زادُ أَبيكَ زَادا

وذهب بعضهم إلى أنّ التّمييزَ إن أفاد فائدةً زائدةً على الفاعلِ جازَ الجمعُ بينَهما، نحوُ: "نِعْمَ الرّجلُ فارسًا زيدٌ" وإن لم يفدْ فائدةً زائدةً على الفاعلِ لم يجزِ الجمعُ بينهما، نحوُ: "نِعْمَ الرّجلُ رجلًا زيدٌ".

رابعًا: وقوع "ما" بعد "نعم" و"بئس":

و"ما" مُمَيِّزٌ وَقِيلَ فاعِلٌ فِي نحوِ: "نِعْمَ مَا يقولُ الفاضلُ"

تقعُ "ما" بعدَ "نِعْمَ" و"بِئْسَ" فتقول: "نِعْمَ مَا" أو "نِعِمّا" و"بئس ما"، ومنهُ قولُه تعالى: ((إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ))، وقولُه تعالى: ((بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ)).

واختلف في ما هذه فقيل:

1ـ إنّ "ما" نكرةٌ منصوبةٌ على التمييزِ وفاعلُ نعمَ ضميرٌ مستترٌ.

2ـ إنّ "ما" هي الفاعل وهي اسمٌ معرفةٌ وهذا مذهبُ ابنِ خروفٍ ونسبَه إلى سيبويه.

خامسًا: المخصوص بالمدح أو الذّمّ:

ويُذكرُ المخصوصُ بَعدُ مُبْتَدا أوْ خَبَرَ اسمٍ ليسَ يَبدو أبدا

يُذكرُ بعدَ "نِعْمَ و"بِئْسَ" وفاعلِهما اسمٌ مرفوعٌ، هو المخصوصُ بالمدحِ أو الذّمِ، وعلامتُه أنّه يصلحُ لجعلِه مبتدأً، وجعلِ الفعلِ والفاعلِ خبرًا عنه، نحوُ: "نعمَ الرّجلُ زيدٌ" و"بِئْسَ الرّجلُ عمرٌو" و"نعمَ غلامُ القومِ زيدٌ" و"بئسَ غلامُ القومِ عمرٌو" و"نعمَ رجلًا زيدٌ" و"بئسَ رجلًا عمرٌو". وفي إعرابِه وجهانِ مشهوران:

أحدُهما: أنّه مبتدأٌ والجملةُ قبلَه خبرٌ عنه.

والثّاني: أنّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ وجوبًا، والتّقديرُ: "هو زيدٌ" و"هو عمرٌو" أي: الممدوحُ زيدٌ والمذمومُ عمرٌو. ومنع بعضُهم الوجهَ الثانيَ وأوجبَ الأولَ.

وقيلَ هو مبتدأٌ خبرُه محذوف ٌوالتّقدير: "زيد ٌالممدوحُ".

سادسًا: حذف المخصوص بالمدح:

وإنْ يُقدّمْ مُشْعِرٌ بهِ كفى ... كـ "العلمُ نِعْمَ الْمُقتَنى والمُقْتَفى"

إذا تقدّم ما يدلُّ على المخصوصِ بالمدحِ أو الذمِّ أغنى عن ذكرِه آخرًا، كقولِه تعالى في النبيِّ أيوبَ ـ عليه السّلام ـ : ((إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ))، أي: نعمَ العبدُ أيوبُ، فحذفَ المخصوصُ بالمدحِ، وهو أيوبُ؛ لدلالةِ ما قبلَه عليه.